

حوار بين فتياننا الأبطال وأم النور

ألقاب القديسة مريم ودورها في حياتنا





إعداد
القمص تادرس يعقوب ملطي

ألقاب القديسة مريم ودورها في حياتنا

بينما كان الفتيان والفتيات يتحدثون عن ألقاب القديسة مريم ودورها العجيب في حياة المؤمنين، ظهرت القديسة وقد أشرق نور من وجهها. سألها الفتى كيرلس، قائلاً: لماذا اهتمت الكنيسة الأولى بالكشف عن ألقابكِ يا أم النور، خاصة وأنتِ نفسك قلتِ: "لأنه نظر إلى اتضاع أمته، فهوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبني" (لو ١: ٤٨)؟

أجابت أم النور:

١ الحقيقة ليس لي فضل في هذه الألقاب التي استخدمتها الكنيسة لتكريمي أنا الضعيفة، إنما يرجع الفضل إلى عمل الله العجيب المحب للبشر.

٢ حسبتني الكنيسة العضو الأمثل فيها. فكشفت عن عمل نعمة الله في حياتي. ففي تمتعي بهذه الألقاب لا يقف الأمر عند طقس يلتزم به المؤمنين في تمجيدي، وإنما يتطلعون إليَّ ليحيوا معي في المسيح يسوع ربنا جميعًا.

٣ بعض الألقاب غايتها التعرف على شخص ربنا يسوع كابنٍ لي، تجسد في أحشائي، فيمجدون الربّ على تجسده لكي نلتصق كلنا به، ونطلب أن نكون أيقونة له كعروسٍ سماوية تجلس عن يمين ملك الملوك ورب الأرباب عريس الكنيسة السماوي.

٤ تكشف بعض الألقاب عن قوة صلوات أبويّ يواقيم وحنّة وتقواهما. بالنسبة لأبي رفض العاملون في هيكل اليهود بأورشليم قبول تقدمته ظانين أن عقر حنّة أمي دليل قاطع على غضب الله عليهما، ولا يجوز قبول تقدمتهما للهيكل. حزن أبي، لكن بروح الرجاء لم يرجع إلى بيته، وإنما انطلق إلى البرية وصعد على جبلٍ متشبهًا بموسى النبي الذي قضى فترة طويلة في صلواته على جبل سيناء، ودخوله في شركة حب مع الله، حتى تمتع وجهه بالبهاء ولم يستطع حتى أخوه هرون أول رئيس كهنة أن ينظر إليه.

لم تغضب أمي على تصرف أبي دون التفاهم معها، بل شاركته تصرفه الرائع وهي في بيتها حيث كرَّست وقتها للصلاة، والالتجاء إلى الله دون انتقاد لتصرف العاملين في الهيكل بأورشليم.

تمتع كل من أبي وأمي بظهور ملاك من قِبَل الربّ يعلن لهما قبول الله

لصلاتهما، وأن الله يهبهما ابنة تكون بركة لا لأورشليم واليهودية فحسب، بل لكل البشر عبر الأجيال القادمة. هذا ما سمعته منهما فيما بعد.

هكذا جاء الحبل بي ثمرة حياة تقوية لوالدي، والتجائهما لله بالصلاة لينالا ما لم يكن في حسبان أحدٍ. إني مدينه لتقواهما ورجائهما ولصلواتهما.

كشف لي والدي كيف نسلك في وقت الضيق، وكيف نواجه حتى الذين يتهموننا ظلمًا، لا بالجدال معهم بل بطلب العون الإلهي لنستخدم الظلم لنوال بركات إلهية. وذلك كقول يوسف بن يعقوب لإخوته: "أنتم قصدتم لي شرًّا، أما الله فقصد به خيرًا لكي يفعل كما اليوم ليحيي شعبًا كثيرًا (تك ٥٠: ٢٠)

٥ كشفت ألقابي عن السمات التي يليق أن يتميز بها المؤمنون بالربّ. هذه السمات التي تلمس حياة المؤمنين الداخلية الخفية وسلوكهم الظاهر، تتشكل فيهم أيقونة السيد المسيح يومًا فيومًا ليتأهلوا للعرس السماوي.

٦ كشفت ألقابي بعد نياحتي أن ما يتمتع به المؤمن وهو بعد في العالم، يصير أكثر قوةً وبهاءً بعد الرحيل من العالم. هذا ما أكده القديس مقاريوس الكبير في عظاته، أن حياتنا بعد رحيلنا لا تكون غريبة عن حياتنا ونحن بعد في العالم، وإنما ستكون بأكثر بهاءً عمّا نحن عليه ونحن بعد في هذا الجسد. وفي هذا يقول القديس جيروم عن الرسول بولس الذي كان وهو بعد في الجسد يشتهي أن يقبل العالم كله الإيمان، فكان يتنقل من دولةٍ إلى دولةٍ، ومن بلدٍ إلى بلدٍ الخ، فكم بالأكثر يشتهي نفس الأمر بعد خروجه من الجسد الضعيف، فيسأل الربّ من أجل خلاص كل العالم؟

اللقب الأول: الثيؤتوكوس

سأل الفتى كيرلس القديسة أم النور: أنت تعلمين يا أمي مدى محبة الكثيرين في العالم لكِ، وتقديرهم لعمل الثالوث القدوس معكِ لأجل تجسد كلمة الله فيكِ بالروح القدس، اسمعي لي بدالة البنوة أن أسألك: تتهلل الكنيسة بعمل الله معكِ وهي تطوّبكِ كل يوم خلال تسابيح الثيؤتوكيّات التي تشهد أنكِ والدة الإله "ثيؤتوكوس"، ما هي مشاعرك وأنتِ في الفردوس حين نطوِّبك؟

أجابت أم النور: إن ما يشغلني أمور كثيرة، أذكر منها الآتي :

أولاً: حين بشَّر الجنين يوحنا أمه اليصابات بان الذي في بطنها هو ربها، قالت: "من أين لي هذا أن تأتي أم ربي إليّ" (لو ١: ٤٣). تهلّلت نفسي بالعمل الإلهي وانسحقت بروح التواضع، إذ قلت: "تعظِّم نفسي الرب، وتبتهج روحي بالله مخلصي، لأنه نظر إلى اتضاع أمته، فهوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبني" (لو ١: ٤٦-٤٨). بانسحاق قلب وبهجة تبقى نفسي متهللة لأن قوة العليّ تظللني، وبالروح القدس يتجسد ابن الله ويولد منّي (لو ١: ٣٥). هذه العطية الإلهية لا تفارق قلبي وفكري وكل مشاعري، إذ أرى كنيسة الله تضم كل يوم الذين يخلصون (أع ٢: ٤٧)، بواسطة الابن المولود منّي، المصلوب والقائم من الأموات.

ثانيًا: كلما يسبح أحد المؤمنين ويذكر لقبي "الثيؤتوكس" أذكر إني مدينة لوالديّ يواقيم وحنة اللذين عندما رُفضت تقدمتهما للهيكل لأنهما لم ينجبا طفلاً، لم يعاتبا الكاهن رافض التقدمة بل أسرع أبي إلى البرية وصعد على جبل ليمضي أربعين يومًا يصلّي طالبًا إرشادًا من الله، وأيضًا والدتي إذ سمعت عمّا فعله أبي انطلقت إلى بيتها لتقضي نفس الفترة في صلوات مثل والديّ. وأرسل الله ملاكًا لكل واحدٍ منهما يبشره بالحبل والولادة، فصلوات والديّ أدّت إلى الحبل بي، لأكون مكرّسة لخدمة الرب، ولم يتوقّعا ما قدمته نعمة الله لي أن أكون "والدة الله".

ثالثًا: إذ قدَّماني والديّ للهيكل وأنا طفلة في السنة الثالثة من عمري، عشت تحت رعاية عجيبة، أتذوق الحياة السماوية. تلاقيت بسمعان الشيخ الذي كان يبلغ من العمر أكثر من ٢٠٠ عامًا. كان ينتظر العذراء التي تحبل وتلد ابنًا وتدعو اسمه عمانوئيل (إش ٧: ١٤)، ولم يكن يعلم أنني العذراء التي اختارها الرب لهذا العمل الفائق، ولم أكن أتوقع وأنا في الهيكل من الثالثة من عمري إلى السنة الثانية عشرة. رأيت في هذا الشيخ إنسان الله التقي، والتقيت معه حين ذهبت إلى الهيكل في اليوم الأربعين من ميلاد رب المجد يسوع (لو ٢: ٢٨-٢٩).

أيضًا كنت أتهلل كلما التقيت بحنة الأرملة التقية التي لم تفارق الهيكل لمدة ٨٤ عامًا. لم يكن يشغلها أحد ما أو شيء ما سوى مجيء المخلص المسيّا. وقد أعلنت (عنه في اليوم الأربعين من ميلاد السيد المسيح (لو ٢: ٣٨).

رابعًا: إني مدينة أيضًا للصبي يسوع الذي انشغل بتعليم الشيوخ، وحين قلت له إننا

كنّا نبحث عنه لمدة ثلاثة أيام أثناء رجوعنا يوسف وأنا من الهيكل، قال لنا أنه ينبغي أن أعمل ما هو لأبي (يو ٢: ٤٦-٥٠). الآن أدركت بالحق ماذا كان يفعل ما هو للآب إذ قام بالتعليم، مقدّمًا نفسه ذبيحة عن البشرية.

خامسًا: عندما تدعوني الثيؤتوكس، أي والدة الله، أتذكّر حضوري في عرس قانا الجليل، وما فعله ابني الحبيب ربي يسوع، إذ حوَّل الماء خمرًا، لأنه جاء ليخطب البشرية ويدخل بنا إلى العرس الأبدي. فعوضًا عن الماء الذي يغسل الجسد وهبنا الخمر الجيد، أي دمه الطاهر لتقديسنا عروسًا سماوية، تجلس على يمينه كملكة تجلس مع ملك الملوك ورب الأرباب.

سأل الفتى كيرلس أم النور: إذن ارشديني ماذا تطلبين منّا عندما نحتفل بأعيادك المقدسة يا أمي؟

أجابت أم النور:

في كل احتفالاتكم بالأعياد اطلبوا أن تشرق نعمة الله على المؤمنين فإن كان الله وهبني أن يتجسد كلمته فيّ بالروح القدس، يليق بكل مؤمنٍ أن يستمع لابني حين قال له شخص: هوذا أمك وإخوتك واقفون خارجًا طالبين أن يكلّموك" (مت ١٢: ٤٧؛ مر ٣: ٣٢؛ لو ٨: ٢٠). إنه يشتهي ألا يقف أحد خارجًا يطلب أن يكلم المسيح، إنما بسماعه لوصيته والالتصاق به يسمع صوت ابني الحبيب، يراه يمد يده نحوه ويقول: "ها أمي وإخوتي، لأن من يصنع مشيئة أبي الذي في السماوات هو أخي وأختي وأمي" (مت ١٢: ٤٩-٥٠).

في نهاية عشية عيد القديسة مريم سأل الفتى كيرلس أم النور: تُرى ماذا يليق بنا أن نطلب من ابنكِ ربنا ومخلصنا يسوع المسيح؟

أجابت أم النور: أطلب منه أن تهبك النعمة الإلهية تحقيق ما يطلبه الرسول بولس منكم: "يا أولادي الذين أتمخض بكم أيضًا إلى أن يتصور المسيح فيكم" (غل ٤ : ١٩).

وإنني أطلب منكم أن تستمعوا لأقوال آبائكم: يقول العلامة أوريجينوس: "يليق كل واحدٍ منَّا أن يعرف مجيء ابن الله في الجسد بواسطة العذراء الطاهرة، وفي

نفس الوقت أن يدرك مجيئه بالروح في كل واحدٍ منا.] ويقول القديس غريغوريوس أسقف نيصص: "يستطيع كل مسيحيٍ أن يصير أمًّا لذلك الذي هو في كل شيء، إذ يقول ربنا نفسه "من يصنع مشيئة أبي الذي في السماوات فهذا هو أمي" (مر ٣: ٢٥، مت ١٢: ٥٠).] ويقول القديس أغسطينوس: [(كل مسيحي) يحبل بالله في قلبه.] ويقول القديس أمبروسيوس: [أِحرص أن تُتَمِّم مشيئة الآب لكي تكون أمًّا للمسيح (مر ٣:٣٥).] ويقول ميثودوسيوس: [الكنيسة في حالة تمخض إلى أن يتشكَّل المسيح ويُولَد داخلنا، فكل قديس يتمتَّع بشركة مع المسيح كأنما يولد المسيح فيه من جديد!]

القمص تادرس يعقوب ملطي




ⲘⲢ
ⲐⲨ